



اجلدني برفق!!

لا يعني ما تقدم من كلام عدم اللوم أبداً.. كلا.. فقد تحتاج في أحيان متكررة أن تلوم الآخرين.. ولدك.. زوجتك.. صديقك.. لكن يمكن تأجيله قليلاً.. أو استخدام أساليب أخف.. دع اللوم يحتفظ بماء وجهه..

بعدما فتح ﷺ مكة.. وقد قوي شأنه عند العرب.. وكثر الداخلون في الإسلام.. غزا ﷺ بالناس حنيئاً..

فجاء المشركون بأحسن صفوف.. فصفت الخيل.. ثم صُفت المقاتلة.. ثم صُفت النساء من وراء ذلك.. ثم صُفت الغنم.. ثم النعم.. والمسلمون بشر كثير.. قد بلغوا اثني عشر ألفاً..



وكان المشركون قد سبقوا إلى وادي حنين.. واختبأت كتائب منهم في جانبه بين الصخور..

فما هو إلا أن ابتداء القتال.. ودخلت جموع المسلمين في الوادي.. حتى تفجّر عليهم الكفار من كل جانب.. وجعلوا يرمون جيش المسلمين من كل جانب بالحجارة والنبل..



واضطرب الناس.. وجعلت خيل المسلمين.. تلوذ خلف ظهورهم.. فلم يلبث المسلمون أن انكشفت خيلهم.. وكان أول من فرّ الأعراب.. وتسلبت الكفار وظهروا..



فالتفت رسول الله ﷺ.. فإذا الجموع تفر..
والدماء تسيل.. والخيل يضرب بعضها في
بعض.. فجعل يأمر (العباس) بأن ينادي: يا
للمهاجرين يا للأنصار؟ فرجعوا حتى ثبت
ﷺ في ثمانين أو مائة رجل.. ثم نصر الله
المسلمين.. وانتهى القتال..

فلما جمعت الغنائم بين يدي النبي ﷺ.. فإذا الذين فروا من القتال.. وخافوا
من الرماح والنبال.. هم أول من اجتمع على رسول الله ﷺ.. يريد الغنائم!!
تعلقت الأعراب.. برسول الله ﷺ يقولون له: اقسم علينا فيئنا.. اقسم علينا فيئنا..
يريدون الغنائم..

عجبا!! يقسم فيئكم؟ متى صار فيؤكم وأنتم لم تقاتلوا؟ كيف تطلبون
من الغنيمة.. وهو الذي كان يصرخ بكم لتعودوا وأنتم لا تستجيبون!!
لكنه ﷺ لم يكن يدقق على مثل هذا.. فالدنيا لا تساوي عنده شيئاً.. جعلوا
يتبعونه ويرددون: اقسم علينا فيئنا..

حتى تراحموا عليه.. وضيقوا الطريق بين يديه.. واضطروه إلى شجرة.. فمرَّ
من شدة الزحام ملاصقاً لها.. فتعلق رداؤه بأغصانها.. حتى سقط عن منكبيه..
وصار بطنه وظهره مكشوفاً.. فلم يغضب.. وإنما التفت إليهم وقال بكل هدوء:

أيها الناس.. ردوا عليّ رداي.. فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد شجر
تهامة.. نعماً لقسمته عليكم.. ثم لا تجدوني بخيلاً.. ولا جباناً.. ولا كذاباً..

نعم.. لأنه لو كان بخيلاً لأمسك الأموال لنفسه.. ولو كان جباناً لفرَّ مع
الفارين.. ولو كان كذاباً لما نصره رب العالمين.. مواقفه ﷺ الرائعة كثيرة..

كان ﷺ يمشي مع بعض أصحابه.. فمرَّ بامرأة تبكي عند قبر.. على صبي لها..

◀ فقال لها ﷺ: اتقي الله واصبري..

كانت المرأة باكية مهمومة.. فلم تعرف النبي ﷺ.. فقالت: إليك عني.. وما تبالي أنت بمصيبتي..؟

فسكت النبي ﷺ وذهب وتركها.. فقد أدى ما عليه.. وأدرك أن المرأة الآن في وضع نفسي قد لا يناسب أن يزداد عليها في النصيح أكثر مما سمعت..

التفت بعض الصحابة إليها وقالوا: هذا رسول الله ﷺ!!

فندمت المرأة على ما قالت.. وقامت تحاول أن تلحق بالنبي ﷺ.. حتى وصلت بيته.. فلم تجد على بابه بوابين..

فقالت معذرة: يا رسول الله.. لم أعرفك.. الآن أصبر..

فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى..^(١)

اقتل برفق..



إن الله كتب الإحسان على كل شيء..
فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة..
وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبوع..
وليعد أهدكم شفرتة.. وليرع ذبيحته..

(١) متفق عليه

فر من المشاكل



أظنه لو أجرى تحليلاً في مستشفى بدائي لاكتشف في جسمه عشرة أنواع من الأمراض.. أهونها الضغط والسكر!!



كان المسكين يعذب نفسه كثيراً لأنه يطالب الناس بالمثالية التامة.. دائماً تجده متضيقاً من زوجته.. كسرت الصحن الجديد.. نسيت كنس الصالمة.. احترقت ثوبي الجديد بالمكواة.. وأولاده.. (خالد) إلى الآن لم يحفظ جدول الضرب.. و(سعد).. لم يظفر بتقدير ممتاز.. و(سارة).. و(هند)..

هذا حاله في بيته.. أما بين زملائه.. فأعظم.. (أبو عبد الله) قصدي لما ذكر قصة البخيل..! والبارحة (أبو أحمد) يعني لما تكلم عن السيارات القديمة.. نعم يقصد سيارتي.. نعم.. كان ينظر إليّ... إلى آخر مواقف وتفكيرات هذا الرجل المسكين.. قديماً قالوا في المثل: **إن أطاعك الزمان ولا أطعه..**

أذكر أن أعرابياً - من أصدقائي - كان يردد مثلاً حفظه من جده.. كان يسمعي إياه كثيراً إذا بدأت أتفلسف عليه ببعض المعلومات.. فكان يخرج زفيراً طويلاً من صدره ثم يقول: **يااااا الشيخ.. اليد اللي ما تقدر تلويها صافحها..!!**

وإذا تفكرت في هذا وجدته صحيحاً.. فنحن إذا لم نعود أنفسنا على التسامح وتمشية الأمور.. أو بمعنى آخر التغابي.. وعدم الإغراق في التفسيرات والظنون.. وإلا فسوف نتعب كثيراً..

ليس الغبي سيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

أقبل شاب نضر إلى شيخه يلتمس منه أن يساعده في اختيار زوجة تكون رفيقةً دربه حتى الممات.

◀ فقال الشيخ: ما هي الصفات التي ترغب وجودها في زوجتك؟



◀ فقال: منظرها جميل.. وقوامها طويل..
وشعرها حرير.. ورائحتها عبير.. لذيدة
الطعام.. عذبة الكلام.. إن نظرت إليها
سرتني.. وإن غبت عنها حفظتني.. لا
تخالف لي أمراً.. ولا أخشى منها شراً.. لها
دين يرفعها.. وحكمة تنفعها!!...

وراح يسرد من صفات الكمال المتفرقة في النساء ويجمعها في امرأة واحدة..

◀ فلما أكثر على الشيخ.. قال له: يا ولدي.. عندي طلبك..

◀ قال: أين؟

◀ قال: في الجنة ياذن الله.. أما في الدنيا فعود نفسك التسامح..

نعم في الدنيا عود نفسك التسامح.. لا تعذب نفسك بالبحث عن مشاكل
لإثارتها.. والنقاش حولها.. فيوماً تصرخ في وجه جليس: أنت تقصدي بكلامك؟
ويوماً في وجه ولدك: أنت تريد أن تحزنني بكسلك؟ ويوماً في وجه زوجتك: أنت
تتعمدين أهمال بيتك؟..

وقد كان منهج النبي ﷺ.. التسامح عموماً.. فكان يستمتع بحياته.. كان
يدخل ﷺ على أهله أحياناً.. في الضحى.. وهو جائع.. فيسألهم: هل عندكم من
شيء.. عندكم طعام؟.. فيقولون: لا.. فيقول ﷺ: إني إذا صائم..

ولم يكن يصنع لأجل ذلك مشاكل.. ما كان يقول: لم لم تصنعوا طعاماً.. لم
لم تخبروني لأشتري.. إني إذا صائم.. وأنتهى الأمر..^(١)

(١) رواه مسلم

وكان في تعامله مع الناس.. يتعامل بكل سماحة.. (كلثوم بن الحصين).. كان من خيار الصحابة.. قال: غزوت مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك.. فسرت ذات ليلة معه ونحن بوادي (الأخضر).... وذكر (كلثوم) القصة وفيها أنهم أطالوا المشي.. فجعل يغلبه النعاس.. وجعلت ناقته تقترب من ناقته النبي ﷺ.. ويستيقظ فجأة.. فيبعدها.. خوفاً من أن يصيب رجل ناقته رجل النبي ﷺ..



حتى غلبته عينه في بعض الطريق.. فزاحمت راحلته راحلة النبي ﷺ.. وضرب رجله رجل النبي ﷺ.. فألمه.. فقال النبي ﷺ من حر ما يجد: حس.. فاستيقظ كلثوم.. فاضطرب وقال: يا رسول الله.. استغفر لي.. فقال ﷺ بكل سماحة: سيز.. سيز..

نعم: سيز.. ولم يعمل قضية.. لماذا تضايقتني؟ الطريق واسع! ما الذي جاء بك بجانبتي؟! لا.. لم يتعب نفسه.. ضربته رجل.. وانتهت.. كان هذا أسلوبه ﷺ دائماً.. جلس يوماً بين أصحابه.. فأقبلت إليه امرأة ببردة.. قطعة قماش.. فقالت: يا رسول الله.. إني نسجت هذه بيدي.. أكسوكها.. فأخذها النبي ﷺ.. وكان محتاجاً إليها.. وقام ودخل بيته.. فلبسها.. ثم خرج إلى أصحابه وهي إزاره..

◀ فقال رجل من القوم: يا رسول الله.. اكسنيها..

◀ فقال ﷺ: نعم..

ورجع ﷺ.. فوراً إلى بيته فخلعها وطواها.. ولبس إزاراً قديماً.. ثم أرسل بها إلى الرجل..

◀ فقال الناس للرجل: ما أحسنت.. سألته إياها وقد علمت أنه لا يرد سائلاً؟!

◀ فقال الرجل: والله ما سألته.. إلا لتكون كفني يوم أموت..

فلما مات الرجل.. كفنه أهله فيها^(١).. ما أجمل احتواء الناس بهذه التعاملات..

(١) رواه البخاري

قام ﷺ يوماً يؤم أصحابه في صلاة العشاء.. فدخل إلى المسجد طفلان.. الحسن والحسين.. ابنا فاطمة - رضي الله عنها -.. فأقبلا إلى جدهما رسول الله ﷺ.. وهو يصلي.. فكان إذا سجد.. وثب الحسن والحسين على ظهره.. فإذا أراد ﷺ أن يرفع رأسه.. تناولهما بيديه من خلفه تناولاً رقيقاً.. ووضعهما عن ظهره.. فجلسا جنباً.. فإذا عاد لسجوده.. عادا فوثبا على ظهره.. حتى قضى ﷺ صلاته.. فأخذهما بكل رفق.. وأقعدهما على فخذه.. فقام أبوه ريرة ﷺ.. فقال: يا رسول الله.. أردهما؟ يعني أعيدهما لأمههما؟ فلم يعجل ﷺ عليهما.. ثم لبث قليلاً.. فبرقت برقّة من السماء.. فقال لهما ﷺ: **الحقا بأمكما.. فقاما فدخلتا على أمهما.**^(١)

وفي يوم آخر.. خرج النبي عليه ﷺ.. على أصحابه في إحدى صلاتي الظهر أو العصر.. وهو حامل الحسن أو الحسين.. فتقدم إلى موضع صلاته.. فوضعه.. ثم كبر مصلياً بالناس.. فسجد رسول الله ﷺ سجدة.. أطالها.. حتى خشي عليه أصحابه أن يكون قد أصابه شيء.. ثم رفع من سجوده.. وبعد انتهاء الصلاة.. سأله أصحابه.. قالوا: يا رسول الله.. لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها..!! أشيء أمرت به؟ أو كان يوحى إليك؟ فقال ﷺ: **كل ذلك لم يكن.. ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله.. حتى يقضي حاجته.**^(٢)

ودخل ﷺ يوماً على أم هانئ بنت أبي طالب - رضي الله عنها -.. وكان جائعاً..

◀ فقال: **هل عندك من طعام تأكله؟**

◀ فقالت: **ليس عندي إلا كسر يابسة.. واني لأستحي أن أقدمها إليك..**

◀ فقال: **هلمي بهن..**

فأنته بهن.. فكسرن في ماء.. وجاءت بملح فذرت عليه.. فجعل ﷺ يأكل هذا الخبز مخلوطاً بالماء.. فالتفت إلى أم هانئ

◀ وقال ﷺ: **هل من إدام؟**

◀ فقالت: **ما عندي يا رسول الله إلا شيء من (خل)..**

(١) رواه أحمد وقال الهيثمي: رجاله ثقات.

(٢) (الحاكم في المستدرک) صحيح..

◀ فأكل منه.. ثم حمد الله عز وجل.. ثم قال: نعم الإدام الخل..^(١)



نعم.. كان يعيش حياته كما هي.. يتقبل الأمور بحسب ما هي عليه..

وفي رحلة الحج.. خرج ﷺ مع أصحابه.. فنزلوا منزلاً.. فذهب النبي ﷺ فقتضى حاجته.. ثم جاء إلى حوض ماء فتوضأ منه.. ثم قام ﷺ يصلي.. جاء (جابر بن عبد الله) رضي الله عنه.. فوقف عن يسار رسول الله ﷺ.. وكبر مصلياً معه.. فأخذ النبي ﷺ بيده.. فأداره بهدوء حتى أقامه عن يمينه.. ومضيا في صلاتهما.. فجاء (جابر بن صخر) رضي الله عنه.. فتوضأ.. ثم أقبل فقام عن يسار رسول الله ﷺ فأخذ ﷺ بأيديهما جميعاً - بكل هدوء - فدفعهما حتى أقامهما خلفه^(٢)..

وفي يوم كان ﷺ جالساً.. فأقبلت إليه (أم قيس) بنت (محسن) بابتها حديث الولادة.. ليحنكه ويدعو له.. فأخذه ﷺ فجعله في حجره.. فلم يلبث الصغير أن بال في حجر النبي ﷺ.. وبلل ثيابه بالبول.. فلم يزد النبي ﷺ على أن دعا بماء فنضحه على أثر البول^(٣).. وانتهى الأمر.. لم يغضب.. ولم يعبس..

فلماذا نعذب نحن أنفسنا ونصنع من الحبة قبة.. ليس شرطاً أن يكون كل ما يقع حولك مرضياً لك ١٠٠٪..

وإن تجد عيباً فسدّ الخلا لکن سيد قومہ المتغابی

بعض الناس يحرق أعصابه.. ويكبر القضايا.. وبعض الآباء والأمهات كذلك.. وربما بعض المدرسين والمدرسات كذلك..

(١) رواه الطبراني في الأوسط، وأصله في الصحيحين.

(٢) رواه مسلم

(٣) رواه البخاري.



ولا تفتش عن الأخطاء الخفية.. وكن سمحاً
في قبول أعذار الآخرين.. خاصة من يعتذرون
إليك حفاظاً على محبتهم معك.. لا لأجل مصالح
شخصية..

أقبل معاذير من يأتيك معذراً
فقد أطاعك من يرضيك ظاهراً
إن برّ عندك فيما قال أو فجراً
وقد أجلك من يعصيك مستتراً

وانظر إلى رسول الله ﷺ وقد رقى منبره يوماً.. وخطب بأصحابه فرفع صوته
حتى أسمع النساء العواتق في خدورهن داخل بيوتهن..!! ترى ماذا قال؟! قال ﷺ:

يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان إلى قلبه: لا تغتابوا المسلمين
ولا تتبعوا عوراتهم.. فإنه من يتبع عورة أخيه.. يتبع الله عورته.. ومن يتبع الله
عورته.. يفضحه ولو في جوف بيته..^(١)

نعم لا تتصيد الأخطاء.. وتتبع العورات.. كن سمحاً..

كان ﷺ حريصاً على عدم إثارة المشكلات أصلاً.. في مجلس هادئ مع
بعض أصحابه.. صفت فيه النفوس.. واطمأنت القلوب.. قال ﷺ لأصحابه:

ألا لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً.. فإني أحب أن أخرج إليكم
وأنا سليم الصدر..^(٢)



(١) رواه الترمذي وهو صحيح

(٢) أخرجه أبوداود، والترمذي وفيه مقال.

اعترف بخطئك.. لا تكابر



كثير من المشاكل التي ربما تستمر العداوة بسببها.. سنة وسنتين.. وربما العمر كله.. يكون حلها أن يقول أحدهما للآخر: أنا أخطأت .. وأعتذر..

موعد أخلفته.. أو مزحة ثقيلت.. أو كلمة نابية.. سارع إلى إطفاء شرارها قبل أن تضطرم النار بسببها.. أنا آسف.. حقك علي.. ما يصير خاطرك إلا طيب.. ما أجمل أن نتواضع ونسمع الناس هذه العبارات..

وقعت خصومة بين (أبي ذر) و(بلال).. رضي الله عنهما.. وهما صحابيَان.. لكنهما بشر.. فغضب (أبو ذر).. وقال لبلال: يا ابن السوداء.. فشكاه (بلال) إلى رسول الله ﷺ.. فدعاه النبي ﷺ فقال:

◀ أسابيت فلاناً؟

◀ قال: نعم..

◀ قال: فهل ذكرت أمه؟

◀ قال: من يسابب الرجال.. ذكر أبوه وأمه يا رسول الله..

◀ فقال ﷺ: إنك امرؤ فيك جاهلية..

◀ فتغير أبو ذر.. وقال: على ساعتني من الكبر..؟

◀ قال: نعم..

ثم أعطاه النبي ﷺ منهجاً يتعامل به مع من هم أقل منه فقال:

أنما هو إخوانكم.. جعلهم الله تحت أيديكم.. فمن كان أخوه تحت يده..
فليطعمه من طعامه.. وليلبسه من لباسه.. ولا يكلفه ما يغلبه.. فإن كلفه
ما يغلبه فليعنه عليه..



فماذا فعل (أبو ذر) رضي الله عنه؟ مضى (أبو ذر) حتى لقي
(بلالاً).. ثم اعتذر.. وقعد على الأرض.. بين يدي
بلال.. ثم جعل يقرب من الأرض حتى وضع خده على
التراب، وقال: يا (بلال)..^(١) طأ برجلك على خدي..

هكذا كان الصحابة - رضي الله عنهم - في حرصهم
على إطفاء نار العداوة قبل اشتعالها.. فإن اشتعلت منعوها من الامتداد..

وقعت بين (أبي بكر) و(عمر) - رضي الله عنهما - محاورة.. فأغضب (أبو بكر)
(عمر).. فأنصرف عنه (عمر) مغضباً.. فلما رأى (أبو بكر) ذلك.. ندم.. وخشي
أن يتطور الأمر.. فانطلق يتبع (عمر).. ويقول: استغفر لي يا عمر.. و(عمر) لا
يلتفت إليه.. (أبو بكر) يعتذر.. ويمشي وراءه حتى وصل (عمر) إلى بيته.. وأغلق
بابه في وجهه..

فمضى (أبو بكر) إلى رسول الله ﷺ.. فلما رآه النبي ﷺ مقبلاً من بعيد.. رآه
متغيراً.. فقال: أما صاحبكم هذا فقد غامر..

جلس (أبو بكر) ساكناً.. فلم تمض لحظات.. حتى ندم (عمر) على ما كان
منه!! - رضي الله عنهم - كانت قلوبهم بيضاء..

(عمر) أقبل إلى مجلس رسول الله ﷺ.. فسلم وجلس بجانب النبي ﷺ.. وقصَّ
عليه الخبر.. وحكى كيف أعرض عن (أبي بكر) ولم يقبل اعتذاره!! فغضب
رسول الله ﷺ..

فلما رأى (أبو بكر) غضبه.. جعل يقول: والله يا رسول الله.. لأنا كنت أظلم..
أنا كنت أظلم.. وجعل يدافع عن (عمر) ويعتذر له..

(١) رواه مسلم مختصراً

فقال ﷺ: هل أنتم تاركون لي صاحبي؟ هل أنتم تاركون لي صاحبي؟ إني قلت: يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً.. فقلتم: كذبت.. وقال (أبوبكر): صدقت..^(١)

وانتبه أن تكون ممن يصلح الناس ويفسد نفسه.. يدور بها كما يدور الحمار في الرحى.. فإذا كنت في موضع توجيه أو اقتداء.. كمدرس مع طلابه.. وأب مع أولاده.. أو أم.. فاعلم أنك هنا تحت عين الزبون.. والكل يراقبك.. فاحرص على الانضباط قدر المستطاع.. وكذلك الزوجان مع بعضهما..

وزع (عمر) ثياباً على الناس.. فنال كل واحد قطعة قماش تكفيه إزاراً أو رداء.. ثم قام يخطب الناس يوم الجمعة.. فقال في أول خطبته:

◀ إن الله كتب لي عليكم السمع والطاعة..

◀ فقام رجل من القوم وقال: لا سمع لك ولا طاعة..

◀ فقال (عمر): لم؟!

◀ قال: لأنك قسمت علينا ثوباً.. ثوباً.. وأنت تلبس ثوبين جديدين.. أي إزارك ورداؤك.. كلاهما نلحظ أنه جديد..

فتلفت (عمر) في المصلين.. كأنه يبحث عن أحد.. حتى وقعت عينه على ابنه (عبدالله بن عمر)..

◀ فقال: قُمْ يا عبدالله بن عمر.. فقام.. فقال: ألسنت دفعت لي ثوبك لأخطب به؟

◀ قال: نعم..

◀ فقعد الرجل وقال: الآن نسمع ونطيع.. وانتهت المشكلة..

عزيزي لا تعجل عليّ.. أنا معك أن أسلوب الرجل لما اعترض على (عمر).. غير مناسب.. لكن العجب هو من قدرة (عمر) على استيعاب الموقف.. وإطفاء النار..

(١) البخاري

وأخيراً.. إذا أردت أن يقبل الناس منك ملاحظتك.. ونصحك.. أياً كانوا..
زوجة.. ولداً.. أختاً.. فكن أنت متقبلاً للنصح أصلاً.. غير متكبر عنه..

كان كثيراً ما يقول لها: اعتن بأولادك
أكثر.. اطبخي جيداً.. إلى متى أقول: رتبي غرفة
النوم..



وكانت تردد دائماً بكل أريحية: أبشر.. إن شاء
الله.. أمرك..

قالت له يوماً - ناصحة -: الأولاد في أيام
اختبارات ويحتاجون وجودك بينهم.. فلا تتأخر
إذا خرجت لأصحابك..

فما كاد يسمع منها ذلك حتى صاح بها: لست متفرغاً لهم.. أتأخر أو لا
أتأخر.. ليس شغلك.. ليس لك دخل في!!

فبالله عليك قل لي: كيف تريدها أن تقبل منه نصحاً بعد ذلك!!

وأخيراً.. الذكي.. هو الذي يسد الفتحات في جداره حتى لا يستطيع الناس
أن يسترقوا النظر.. بمعنى: أن لا تفتح مجالاً لشك الناس فيك..

أذكر أن إحدى الجمعيات الدعوية استدعت مجموعة من الدعاة
لتعقد محاضرات في ألبانيا.. كان رئيس المراكز الدعوية في ألبانيا حاضراً
الاجتماع..

نظرنا إليه.. فإذا ليس على خديه شعرة واحدة!! فنظر بعضنا إلى بعض
مستغرباً..!! فقد جرت العادة أن يكون الداعية ملتزماً بهدي رسول الله ﷺ معقياً
لحيته.. ولو بعضها.. فكيف برئيس الدعاة؟!

فلما ابتداء الاجتماع قال لنا ضاحكاً: يا جماعة.. أنا أمرد.. أصلاً لا ينبت لي
لحية.. لا تعملوا لي محاضرة إذا انتهينا.. تبسمنا وشكرناه..

وإن شئت فارحل معي إلى المدينة.. وانظر إلى رسول الله ﷺ وقد كان معتكفاً في مسجده في ليالي رمضان.. أقبلت إليه زوجه (صفية بنت حيي) - رضي الله عنها - زائرة.. فمكثت عنده قليلاً.. ثم قامت لتعود لبيتها..

فلم يشأ النبي ﷺ أن تعود في ظلمة الليل وحدها.. فقام معها ليوصلها.. مشى معها في الطريق.. فمرّ به رجلان من الأنصار.. فلما رأيا النبي ﷺ والمرأة معه.. أسرعَا! فقال ﷺ لهما:

◀ على رسلكما إنها (صفية بنت حيي)..

◀ فقالا: سبحان الله يا رسول الله..

أي: أيعقل أن نشك فيك أن يكون معك امرأة أجنبية عنك..!!

◀ فقال ﷺ: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم.. وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرّاً.. أو قال شيئاً..^(١)



(١) متفق عليه



مفاتيح الأخطاء!

التعامل مع الأخطاء فن.. فلكل باب مفتاح.. وللقلوب دروب.. إذا وقع أحد في خطأ كبير.. وانتشر خبره في الناس.. وبدأ الناس يترقبون ماذا تفعل فأشغلهم بشيء.. حتى يكون عندك وقت لدراسة الأمر.. حتى لا يتجرأ أحد على مثل فعله.. أو يتعودوا على مثل هذا الخطأ..

خرج ﷺ مع أصحابه في غزوة بني المصطلق.. وأثناء رجوعهم.. نزلوا يستريحون.. فأرسل المهاجرون غلاماً لهم اسمه: (جهجاه بن مسعود).. ليستقي لهم من البئر ماء.. وأرسل الأنصار غلاماً لهم اسمه: (سنان بن وبر الجهني).. ليستقي لهم أيضاً..

فازدحم الغلامان على الماء.. فكسع أحدهما صاحبه.. أي ضربه على مؤخرته.. فصرخ الجهني: يا أيها معشر الأنصار.. وصرخ جهجاه: يا أيها معشر المهاجرين.. فثار الأنصار.. وثار المهاجرون.. واشتد الخلاف.. والقوم قادمون من حرب.. ولا يزالون بسلاحهم!! فانطلق ﷺ.. حتى أطفأ ما بينهم..

فتحركت الأفاعي.. غضب (عبدالله بن أبي بن سلول) رأس المنافقين.. وعنده رهط من قومه الأنصار.. فقال:



أوقد فعلوها!! قد نافرونا.. وكاثرونا في بلادنا..
والله ما أعدنا وجلابيب قريش هذه.. إلا كما قال
الأول سَمَنَ كلبك يأكلك.. وجوَّعَ كلبك يتبعك!!
ثم قال الخبيث: أما والله لئن رجعنا إلى المدينة..
ليخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ..

ثم أقبل على من حضره من قومه فقال:

هذا ما فعلتم بأنفسكم.. أحللتهموهم بلادكم.. وقاسمتهموهم أموالكم.. أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم.. لتحولوا إلى غير داركم..

وجعل الخبيث يهدد ويتوعد.. والذين عنده من أنصاره المنافقين.. يؤيدونه ويشجعونه..

كان من بين الجالسين غلام صغير.. اسمه (زيد بن أرقم).. فمضى إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر.. وكان (عمر بن الخطاب) جالساً عند النبي ﷺ.. فثار.. كيف يجرو هذا المنافق على رسول الله ﷺ بهذا الأسلوب القبيح..

رأى (عمر) أن قتل الأفعى أولى من قطع ذيلها.. ورأى أن قتل (ابن سلول).. يقضي على الفتنة في مهدها.. ولكن أن يقتله رجل من قومه الأنصار.. أسلم من أن يقتله رجل من المهاجرين..

◀ فقال (عمر): يا رسول الله.. مُز به عباد بن بشر الأنصاري فليقتله..

لكن رسول الله كان أحكم.. فهم قادمون من حرب.. والناس بسلاحهم.. والنفوس مشحونة.. وليس من المناسب إثارتهم أكثر..

◀ فقال ﷺ: فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟! لا يا عمر.. ولكن أذن الناس بالرحيل..

كان الناس قد نزلوا للتو واستظلوا.. فكيف يأمرهم بالرحيل في شدة الحر والشمس.. ولم تكن عادته ﷺ أن يرتحل في شدة الحر..

ارتحل الناس.. وبلغ (عبدالله بن أبي بن سلول) أن رسول الله ﷺ.. أخبره (زيد بن أرقم) بما سمع منه..

فأقبل ابن سلول إلى رسول الله ﷺ.. وجعل يحلف بالله.. ما قلت.. ولا تكلمت به.. كذب علي الغلام..

كان (ابن سلول) رئيساً في قومه.. شريفاً عظيماً.. فقال الأنصار:

يا رسول الله.. عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه.. ولم يحفظ ما قال الرجل..

جعلوا يدافعون عن (ابن سلول).. والنبي ﷺ يسير على دابته لا يلتفت إلى أحد.. فأقبل إليه سيد من سادة الأنصار.. (أسيد بن حضير).. فحياه بتحية النبوة وسلم عليه..

◀ وقال: يا رسول الله.. والله لقد رحت في ساعة منكرة.. ما كنت تروح في مثلها!!

◀ فالتفت إليه ﷺ وقال: أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟

◀ قال: أي صاحب يا رسول الله؟

◀ قال: عبد الله بن أبي..

◀ قال: وما قال؟

◀ قال: زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعرض منها الأذل..

◀ فثار أسيد وقال: فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت.. هو والله الذليل.. وأنت العزيز..

ثم قال أسيد مخففاً على رسول الله ﷺ: يا رسول الله.. أرفق به.. لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه.. فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً..

فسكت النبي ﷺ.. ومضى براحلته.. والناس منهم من يجمع متاعه.. ومنهم من يُرحل راحلته..

وجعلت الحادثة تنتشر.. وصارت أحاديث الجيش.. لماذا ارتحلنا في هذا الوقت؟.. ماذا قال؟.. كيف تعامل معه؟.. صدق (ابن سلول).. لا بل كذب..

وبدأت الشائعات تزيد.. والكلام يزداد فيه ويُنقص.. واضطرب الجيش.. وهم في طريقهم من قتال.. ويمرون بقبائل أعداء يتربصون بهم..

فشعر ﷺ أن الجيش بدأ ينقسم.. فأراد أن يشغلهم عن المشكلة.. وعن النقاش فيها.. لأنهم يزيدون أوارها.. ويشعلون الفتنة بين المهاجرين والأنصار.. وصار الناس يترقبون متى ينزلون حتى يجتمع بعضهم إلى بعض ويتحدثوا في الأمر..



فمشى ﷺ بالناس يومهم ذلك والشمس فوقهم!! ومشى ومشى حتى غابت الشمس.. فظن الناس أنهم سينزلون للصلاة ويرتاحون.. فلم ينزل إلا دقائق معدودات.. صلوا ثم أمرهم فارتحلوا..

وواصل المشي ليلتهم حتى أصبح.. ثم نزل فصلى الفجر.. ثم أمرهم فارتحلوا.. ومشوا صباحهم حتى تعبوا.. وأذتهم الشمس..

فلما شعر أن الإرهاق والتعب سيطر عليهم.. فليس فيهم جهد للكلام.. أمرهم فنزلوا.. فما كادت أجسادهم تمس الأرض.. حتى وقعوا نياماً.. وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عما حدث.. ثم أيقظهم.. وارتحل بهم.. وواصل حتى دخل المدينة.. وتفرق الناس في بيوتهم عند أهليهم..

وانزل الله تعالى سورة المنافقين:

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَلَئِنْ خَرَجْنَا إِلَى الْأَرْضِ وَلَكِنَّا الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۚ﴾ (٧) يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

فقرأها رسول الله ﷺ.. ثم أخذ بأذن الغلام (زيد بن أرقم).. وقال:

هذا الذي أوفى الله بإذنه.

وبدأ الناس يسبون (ابن سلول).. ويلومونه..
فالتفت ﷺ إلى (عمر) وقال:



أرأيت يا عمر.. لو قتلته يوم ذكرت ذلك..
لأرعدت له أنوف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته..
ثم سكت عنه ﷺ.. فلم يتعرض له بشيء..



وأحياناً إذا وقع الخطأ أمام الناس قد تحتاج
أن تنكر عليه بأسلوب مناسب.. وإن كان أمام
الناس..

بينما رسول الله ﷺ جالساً يوماً مع أصحابه..
وكانوا في أيام قحط.. واحتباس مطر.. وقلّة
زرع.. إذ أتاه أعرابي فقال:

◀ يا رسول الله جهدت الأنفس.. وضاعت العيال.. ونهكت الأموال.. وهلكت
الأنعام.. فاستسق الله لنا.. فإننا نستشفع بك على الله.. ونستشفع بالله عليك..

فتغيّر رسول الله ﷺ.. لما سمعه يقول: نستشفع بالله عليك!! فالشفاعة
والواسطة تكون من الأدنى إلى الأعلى.. فلا يجوز أن يقال إن الله يشفع عند
خلقه.. بل يأمرهم جل جلاله.. لأنه أعلى وأرفع..

◀ فقال ﷺ: ويحك!! أتدري ما تقول؟!!

ثم جعل ﷺ يقدس الله.. ويردد.. سبحاان الله.. سبحاان الله.. فما زال يُسَبِّح
حتى عُرف ذلك في وجه أصحابه.. ثم قال:

ويحك!! إنه لا يُسْتَشْفَعُ بالله على أحد من خلقه.. شأن الله أعظم من ذلك..
ويحك!! أتدري ما الله؟ إن عرشه على سماواته لهكذا.. وقال بأصابعه مثل
القبة عليه.. وإنه ليئط به أطيّط الرحل بالراكب..^(١)

(١) رواه أبو داود



ولكن إذا وقع الخطأ من الشخص لوحده فكيف
يكون التعامل معه؟

أتى رسول الله ﷺ إلى بيت (عائشة) - رضي الله عنها
- في ليلتها.. فوضع نعليه من رجليه.. ووضع رداءه..
واضطجع على فراشه..

فلبث كذلك.. حتى ظن أن (عائشة) قد رقدت.. فقام من على فراشه.. ولبس
رداءه ونعليه.. رويداً.. ثم فتح الباب رويداً.. وخرج.. وأغلقه رويداً..

فلما رأت (عائشة) ذلك.. دخلتها غيرة النساء.. وخشيت أنه ذهب إلى بعض
نسائه.. فقامت.. ولبست درعها.. وخمارها.. وانطلقت في إثره.. تمشي وراءه..
دون أن يشعر بها..

انطلق ﷺ.. يمشي في ظلمة الليل.. حتى جاء مقبرة البقيع.. فوقف عندها..
ينظر إلى قبور أصحابه.. الذين عاشوا عابدين.. وماتوا مجاهدين.. واجتمعوا
تحت الثرى.. ليرضى عنهم من يعلم السر وأخفى..

أخذ ﷺ ينظر إلى قبورهم.. ويتذكر أحوالهم.. ثم رفع يديه فدعا لهم.. ثم
أخذ ينظر إلى القبور ثم رفع يديه ثانية فدعا لهم ثم رفعها فاستغفر لهم..
وأطال القيام.. و(عائشة) تنظر إليه من بعيد.. ثم التفت ﷺ وراءه راجعاً..

فلما رأت ذلك (عائشة).. انحرفت إلى ورائها راجعة.. خشية أن يشعر بها..
فأسرع ﷺ مشيه.. فأسرعت (عائشة).. فهرول.. فهرولت.. فأحضر - أي جرى
مسرعاً - فأحضرت وجرت.. حتى سبقته إلى البيت فدخلت.. ونزعت درعها
وخمارها.. وأقبلت إلى فراشها فاضطجعت عليه.. كهيئة النائمة.. ونفسها
يتردد في صدرها..

فدخل ﷺ البيت.. فسمع صوت نفسها..

◀ فقال: مالك يا عائشة.. حشياً رابية؟!

◀ قالت: لا شيء!

- ◀ قال: لتخبرني.. أو ليخبرني اللطيف الخبير..
- ◀ فأخبرته بالخبر.. وأنها غارت عليه.. فانطلقت تنظر أين يذهب..
- ◀ فقال ﷺ: أنت الذي رأيت أمامي؟
- ◀ قالت: نعم..
- ◀ فدفعها في صدرها.. دفعةً.. ثم قال: أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله..
- ◀ فقالت عائشة: مهما يكتُم الناس.. يعلمه الله عز وجل..؟
- ◀ قال: نعم.. ثم قال ﷺ مبيناً لها خبر خروجه: إن جبريل عليه السلام.. أتاني حين رأيت.. ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك.. فناداني.. فاخفى منك فأجبتُه وأخفيتُه منك.. وظننت أنك قد رقدت.. فكرهت أن أوقظك.. وخشيت أن تستوحشي.. فأمرني أن آتي أهل البقيع فأستغفرَ لهم..^(١)
- نعم.. كان ﷺ سهلاً ليئناً لا يُكَبِّرُ الأخطاء.. بل كان يرددها في الناس ويقول: كما روى مسلم: لا يفرك مؤمن مؤمنة.. إن كره منها خلقاً.. رضي منها آخر..
- أي لا يبغضها بغضاً تاماً.. لأجل خلقٍ عندها.. أو طبعٍ يلازمها.. بل يغفر سيئتها لحسنتها.. فإذا رأى خطأها تذكر صوابها.. وإذا شاهد سوءها تذكر حسناتها.. ويتغاضى عما يكرهه من خلقها.. وما لا يرضاه من تعاملها..



(١) رواه النسائي بسند جيد